

الملك أوديب وامرؤ القيس - دراسة مقارنة -

King Oedipus and Amr al-Qais comparative study

عبد الوهاب عياض: طالب دكتوراه

جامعة قاصدي مرياح ورقلة

كلية الآداب واللغات مخبر اللسانيات النصية

وتحليل الخطاب

ahmedtidjanisikebir@gmail.com

د. أحمد التجاني سي كبير - أستاذ محاضر (1)

جامعة قاصدي مرياح ورقلة

كلية الآداب واللغات

مخبر النقد ومصطلحاته

ahmedtidjanisikebir@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/09/20

تاريخ القبول: 2020/09/15

تاريخ الإرسال: 2020/08/22

الملخص:

سنحاول في دراستنا المقارنة لقصتي أوديب الأسطورية وامرؤ القيس التاريخية، أن نبين تداخل الأسطوري بالتاريخي، في كل من القصتين المختلفتين من حيث الثقافة والفكر والزمان والمكان ورغم ذلك نكاد نجزم بالتطابق الفكري بينهما، ومنه التطابق بين الفكر الغربي والعربي في السرد التاريخي والأسطوري، فأسطورة أوديبوس المتناقلة في الحضارة الغربية والتي حولها "سوفوكلس" الشاعر الإغريقي إلى مسرحية "أوديبوس ملكا" التي جسدت على خشبة المسرح، جاعلا منها مسرحية ذات توتر بالغ يكشف القدر المأساوي لهذه الشخصية. وكذلك نجد قصة امرؤ القيس التي نعرفها من خلال سيرته وحياته في الجاهلية، فهذه القصة المليئة بالأحداث والتداخلات مع أسطورة الملك أوديبوس، وهذا ما جعلنا نقيم هذه الدراسة المقارنة للكشف عن أهم نقاط: التشابه والاختلاف بين النموذجين القصصين المختلفين من حيث الثقافة والحضارة.

الكلمات المفتاحية: أوديب، امرؤ القيس، الأسطورية، دراسة مقارنة

Abstract:

In the scope of our comparative study of the Oedipus complex and the story of Amr al-Qais, we see that the legendary Oedipus complex, full of marvels and the domination of the gods and their identification and secrets to punish anyone who disagrees with them, and after a long-lived myth of Greek roots and adjacent to the evolution of the legend of a transition to a

play embodied on stage, Sophocles, the Greek poet created a tragedy in which the work escalates greatly, making it a very tense play of destiny reveals the tragedy of this character. In the midst of this atmosphere, Ameer al-Qais was born in a tribe whose father was king of the tribe, and after we touched the story of Amr al-Qais, full of great events and characters, in return, the Greek legend of "Oedipus king" was born. Which had the best luck in the studies, especially in psychology and sociology, where he extracted the principle of psychosocial and called (Oedipus complex) and made it a model of psychoanalysis and social analysis, and this study only revealed the most important points: the similarity and difference between two great works, one Western and another Arab.

Key words : comparative study ,legendary ,Amr al-Qais ,Oedipus

دراسة مقارنة لقصيتي الملك أوديب وامرؤ القيس:

في نطاق دراستنا المقارنة لعقدة أوديب وقصة امرؤ القيس، نرى أن عقدة أوديب الأسطورية، مليئة بالأعاجيب وسيطرة الآلهة وتحديدها وأسرارها على إنزال العقاب بكل من يخالفها، وبعدها كانت أسطورة موغلة في القدم ذات جذور إغريقية ومجاورات للتطور الحاصل من أسطورة متناقلة إلى مسرحية مجسدة على خشبة المسرح "سوفوكلس" الشاعر الإغريقي خلق مأساة يتصاعد فيها العمل بشكل عظيم، جاعلا منها مسرحية ذات توتر بالغ يكشف القدر المأساوي لهذه الشخصية. "أوديبوس ملكا" وما قصة امرؤ القيس إلا تجسيدا لحياته في الجاهلية التي كانت تمتاز بالبساطة والتأمل، وفي خضم هذا الجو ولد امرؤ القيس في قبيلة كان أبوه ملكاً عليها فكان يعيش في ترف ولهو وعبث، وبعد تطرقنا القصة امرؤ القيس المليئة بالأحداث والشخصيات العظيمة، في مقابل ذلك نجد الأسطورة اليونانية المتمثلة في "أوديبوس ملكا". التي كان لها الحظ الأوفر في الدراسات وبخاصة في علم النفس وعلم الاجتماع، أين استخلص "سيجمون فرويد" مبدأ نفسياً اجتماعياً وأسماه (عقدة أوديب) وجعلها نموذجاً للتحليل النفسي والاجتماعي.

وما دراستنا هذه إلا لكشف وتسليط الضوء على أهم نقاط: التشابه والاختلاف بين عمليتين كبيرتين أحدهما غربي وآخر عربي.

بالرغم من هذه الاختلاف في البيئة والمنطلقات الفكرية والاجتماعية والنفسية نلمس تشابه للأحداث يكاد يكون لدرجة المطابقة بينهما غير أن بعد الفترة الزمنية والمكانية مختلف وبعيد جدا.

إننا نلمس في حادثة طرد امرئ القيس عدة تشابهات يمكن أن نستخلص منها، مقابلاً لها في أسطورة "أوديبوس ملكاً".

1- النبوة:

ذلك برأي "الأصمعي" يذكر الأصمعي أن حجراً الملك "دخلت عليه كاهنته ذات يوم فقالت له: يا ذن منك لأتكلّم أيها الملك؟ فقال لها: قولي ما علمتي فقالت له: والسماء ذات البروج وما اشتملت عليه أرحام ذات الفروج، لقد نبات نبأ وعلمت خيراً، فإن أعظمها خطراً، وأبعدها نظراً، وأكثرها نفعاً وضرراً يسفك دمه شرها أناساً، وأغشها كأساً، فأظعن أيها الملك العظيم، عن ساحة الأذلين أسدو تميم".

وتقول: النبوة بعد أن تقسم بالسماء وما تنطوي عليه الأرحام وفي هذا تلميح إلى علاقة الفرابي، أن أعظم الناس سيقتله شرهم وأغشهم، وقد فهم الأصمعي أن هذه النبوة تشير إلى أسد و تميم قتلة حجراً في الواقع فالكاهنة أو النبوة تحذر حجراً الملك أن سيقتله رجل من رحمه، أو من دمه.¹

النبوة في أسطورة "أوديبوس": تتمثل في نبوءة دلفي التي قصدها كل من أوديبوس وزوجته (أمه) جوكستا، والتي رأت أن ابناً سيولد لهما وأنه مقدر له أن يقتل أباه ويتزوج أمه.

2- أمر القتل غيلة خوفاً من تحقق النبوءة والكهانة:

أما بالنسبة لقصة امرئ القيس فقد أمر حجراً ربعة بقتل ابنه (امرؤ القيس) وما نجده في أسطورة أوديبوس أمر الملك لايبوس الخادم بقتل أو التخلص من ابنه الصغير "أوديبا".

3- المساعدة:

تتمثل المساعدة في تلك التي جاءت من طرف "ربعة" في رواية منقولة عن الأصمعي الذي يذكر فيها «أن حجراً الملك أبو امرؤ القيس دعا في حادثة سكر مولى له يستدعي ربعة - وكان حاجبه- فقال له: أنطلق بهذا إلى موضع كذا وكذا وأقتله فأني لا أظنه إلا سيثمتنا، وجئني بعينيه فانطلق "ربعة". فاستودعه رأس جبلٍ منيفٍ، فقد علم أن أباه سيندم على قتله إذا صحا من سكره، فعمد إلى جوّذرٍ كان

مقالب
مج 07 ع 01 / محرم 1442هـ / سبتمبر 2020

عنده فذبحه، وأشرع عينيه فاحملهما إلى حجرٍ، فقال له حجرٌ: أقتلته؟ فقال: نعم. قال فأين عيناه؟ فرد عليه ها هما هاتان فوقعت الندامة على حجرٍ. وهم يقتل ربيعة فلما رأى ربيعة ذلك قال: ابيت اللعن إنني استودعته ولم أقتله، قال في موضع كذا وكذا على رأس الجبل، فقال: فأتني به فأنطلق ربيعة إلى امرؤ القيس، فوجده حيث خلفه»².

ومساعدة الخادم الذي أمره لايوس بقتل ابنه «أوديبوس» على بقاءه حيا شفاعته منه عليه «طفل صغير»، وهكذا كتب النجاة للطفلين ليكون لهما شأن فيما المستقبل ويحققا النبوءة المنتظرة بمرارة.

4- حادثة الزواج :

بالنسبة لهذا الرأي نستحضر فيه رأي "ابن رشيق" (ابتداؤه بهذا) الشر العظيم شر التشبيب بنساء أبيه أنه يطمح في أن يمتلك ما يمتلكه أبوه جنسياً، وذنبه لا يأتي من كونه يقول الشعر، بل من كونه يشتهي نساء أبيه، ولابد أن أمه من ضمنهن . ولنلاحظ هنا أن اسم ابنة عمه (فاطمة) وأن اسم أمه في بعض الروايات (فاطمة) أيضاً . فلعل هذه الروايات ترد أن تقول أنه يتزوج أمه لعلمها إن اشتاء زوجة أبيه يعني ضمنا الزواج بالأم.³

ومقابلة لهذا نجد زواج أوديبوس بأمه جوكاستا كما ورد في مسرحية سوفوكليس «أوديبوس ملكا» .

5- كلاهما يبحث عن الحقيقة: "امرؤ القيس-اوديب" :

وهذا أمر طبيعي لأن فضول الانسان دوماً يرسله للبحث والاستكشاف عن المجاهيل والمستغلات والغوامض.

6- منبع كلاهما من طبقة الملوك:

فحجرا امرؤ القيس ملك على كندى ، ولايوس أب أوديب ملكا على طيبة.

7- كلاهما عاش في كنف ملك آخر.

8- التشابه في اللغز:

لغز أبي الهول الذي يسأل أويديبوس عند وصوله لمشارف مدينة طيبة وحل هذا اللغز هو سر تغلب أوديبوس على أبو الهول، واللغز الذي طرحه امرؤ القيس على الجارية.

ومثلاً حكم أوديبوس على نفسه بالتشرد في الجبال، فقد تشرد امرؤ القيس في الصحاري ملكاً ضليلاً.

وتتمثل في زواج امرؤ القيس من الجارية بعد حلها للغز والمكافأة بالنسبة لأوديبوس بعد حله للغز الذي ألقاه أبو الهول عليه بزواج من الملكة جوكاستا.

أما فقدان الشخصيتين بصرهما يعد تطهيراً عقابياً من جهة ورمزاً لتسييرهما من القدر المحتوم دون بصيرة منهما.

وبعد طرحنا لأوجه التشابه الموجودة بين "امرؤ القيس" و"أوديبوس ملكاً"، نخرج على أهم أوجه الاختلاف بين الشخصيتين:

1- فأسطورة أوديبوس التي تروى عن الشخصية الأسطورية قد جرت أحداثها في القرن الخامس قبل المسيح في أثينا وهي مدينة يونانية.

2- أما قصة امرؤ القيس فهي تروى عن الشخصية التاريخية التي عاشت في العصر الجاهلي وهي شخصية حقيقية في أوائل القرن السادس للميلاد في «نجد» بالجزيرة العربية.

3- أن أوديبوس له ذكرين وبنيتين وامرؤ القيس فكان والداً لبنات كثر وكان يقوم بوأدهن وذلك تبعاً للعرف السائد في الجاهلية آنذاك.

4- أن قاتل الملك لايبوس الأب في أسطورة أوديبوس هو أوديبوس نفسه، أما قاتل حجراً أبو امرؤ القيس فلم يكن هو نفسه امرؤ القيس.

1- لغز امرؤ القيس هو أنه: أقسم ألا يتزوج من امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنين ما هي؟ (أما الثمانية فأطباء الكلية، وأما الأربعة فأخلاف الناقة، وأما الاثنان فتديا المرأة)

2- أما لغز أوديبوس الذي سأله إياه أبو الهول: عن ما هو الحيوان الذي يسير في الصباح على أربعة وظهر على اثنين وفي المساء على ثلاثة («الإنسان»)

مقاليه
مج 07 ع 01 / محرم 1442هـ / سبتمبر 2020

في مراحلها العمرية إذ يحبو على أربعة في صغره ثم يستقيم على رجلين ثم يتعكز في شيخوخته على عكاز).

ب- قائل اللغز:

1- ففي نص امرؤ القيس القائل هو امرؤ القيس نفسه، فقد جرى اللغز بينه وبين والجارية.

2- وأما في أسطورة أوديبوس فقائل اللغز أو طارحه هو أبو الهول حارس مدينة طيبة.

ج- الجواب:

1- فجواب الجارية كان كالآتي : أما ثمانية فأطباء الكلية، وأما أربعة فأخلاف الناقة، وأما اثنتان فثديا المرأة .

2- وأما جواب أوديبوس على لغز أبو الهول قال له أنه «الإنسان» .

د- هدف اللغز:

1- هدف اللغز في قصة امرؤ القيس هو زواجه من امرأة ذكية وقد كانت هي الجارية.

2- وهدف اللغز في أسطورة أوديبوس هو التخلص من الوحش الذي كان يسبب خطراً على مدينة ثيبة.

هـ- الطريقة في فقأ العينين:

1- في قصة امرؤ القيس كان الفعل بأمر من حجر الأب إلى الحاجب بأن يقتل ابنه الصغير امرؤ القيس ويأتيه بعينه ولم يفعل لحنكته وذكائه وقد كان الجؤدر بديلاً وأقياً.

2- أما أوديبوس فقد فقأ عينيه بنفسه بعدما انجلت حقيقة أمره أمامه كنوع من العقوبة الذاتية أو طلب التطهير والغفران.

و- نهاية كلاهما:

1- كانت نهاية أوديبوس بوحى من الآلهة .

-أما وفاة امرؤ القيس فكانت بالرداء المذهب الذي بعثه له قيصر ملك الروم، وكان هذا الرداء مسموماً ومات به امرؤ القيس بعد ارتدائه.

تعد الأسطورة مجموعة من الخرافات والبديهيات التي كان الإنسان البدائي (الأول) يؤمن بها، في مرحلة من مراحل عمره، عن طريق شطحات التقرب للطبيعة حتى ترضى ولا تغضب الآلهة. ولكن أسطورة (أوديبوس) التي حولها

سوفوكليس إلى مسرحية، فقد بقي تأثيرها إلى الآن سائر المفعول إذ وجدت قبولاً في الدراسات والأبحاث القديمة والحديثة فظلت شغف دراسات علمي النفس والاجتماع لما فيها من أسرار. يستكشف منها في كل مرة جديد فلم تبقى حبيسة زمانها، فهي تعد نصاً مفتوحاً على عدت قراءات وتأويلات، فكلما قلبت على وجه أظهرت أسراراً جديدة، لذلك وجدت الفسحة الواسعة في مجال الأدب. حيث تناولها الكتاب والمسرحين بمحاكاتها أو تقليدها أو معارضتها في بعض الجوانب قديماً وحديثاً ومن العرب والغرب على حد سواء.

وما دل على ذلك ما قام به توفيق الحكيم وأحمد باكثير من العرب في العصر الحديث على الرغم من بعد الزمن، إلا أنهما وجدا ما يروي عطشهما في هذه الأسطورة وتفسيراتها وتأويلها بما يوافق الواقع في معطياته، لذلك وجدت تقبلاً شعبياً وأكاديمياً، ولا ننسى أيضاً "برناردنوكس" الذي أدلى كذلك برأيه حسب مقتضيات العصر الذي يعيشه، وهذه التأويلات لا يمكن أن نصححها أو نخطئها وتبقى منبعاً للإلهام الفكري والنفسي والاجتماعي.

ومن التحليلات التي تطرقت إلى أسطورة أوديبوس:

نجد تحليل "برناردنوكس" لشخصية أوديبوس و"تفسيره لمأساته وأخذ يفسر كيفية وصول أوديبوس للحكم (فهو ليس الحاكم الذي ظفر بالسلطان بطريقة الوراثة ولكن بطريقة بطولية ترجع إلى تفوقه وامتيازه، وهو ليس ملكاً لأن نجاح الملك مقرون بمولده، وأما الحاكم المطلق فنجاحه مقرون بملكات الحاكم العقلية وقدراته وبعد هذا التفسير تطرق إلى تحليل العنوان الذي وضعه سوفوكليس لمسرحية أوديبوس ملكا (الحاكم المطلق) وأشد العبارات وأقواها تهكما في المسرحية، فإن أوديبوس كما هو معروف ليس هو الحاكم المطلق الذي جاء من خارج المدينة وظفر بسلطانها، ولكنه وإن خييل إليه أنه آت من الخارج، هو الملك الشرعي لثبته (طبيية) لأنه ابن الملك لايوس الملك السابق لثبته، وهو في الحقيقة لا ينبغي أن يسمى ملكا بالمعنى الكامل لهذه الكلمة إلا بعد أن يكشف النقاب عن حقيقته وعن مولده وقد وصف برناردنوكس أوديبوس بمواصفات الإنسان الجيد والممتاز والذكي، والدليل على هذه المواصفات التي وضعها برناردنوكس أن الجوقة لم تطلق عليه هذا اللقب (لقب الملك) إلا في النشيد الكبير الذي غنته، عقب معرفة أوديبوس لنفسه "دعونك الملك الخبير، وقد مت إلى أعظم الشرف وجعلناك صاحب الأمر والنهي.

فأوديبوس في هذا النشيد هو مثال لنموذج للناس جميعاً. فحقيقة كونه حاكماً ظفر بالحكم بمجهوده الذاتي، وحقيقة كونه يحقق المثل الإغريقي للنجاح المكتسب بالذكاء والسعي الفرديين، جعلت من أوديبوس رمزاً للإنسان الصالح المتحضر الذي بدأ يندر ويفتقد، في القرن الخامس قبل الميلاد بأن يستطيع أن يستحوذ على السلطان في الإقليم الذي يعيش فيه، ويصنع مصير نفسه بنفسه ويصبح في الحقيقة مساوياً للآلهة أو نظيراً لها، وأصبح أوديبوس حاكماً مطلقاً منذ اللحظة التي أجاب فيها على هذا اللغز الذي ألقاه عليه أبو الهول أجاب على هذا اللغز، دون أن تعينه عليه الأنبياء أو توحى به إليه الطير واستطاعت إجابته هذه أن تظفر له بملك مدينة ثيبة وملكها أيضاً، ونحن إذا عدنا لتتبع الأوصاف التي خلعتها سوفوكليس على شخصية أوديبوس فسنجد أن جميع هذه الأوصاف لن تخرج عن هذا المعنى الذي حدثنا به نشيد الجوقة في مأساة أنتجون (أنتجون: هي ابنته من أمه جوكاستا)، فجميع صور المسرحية واستعارتها وتشبيهاتها تتألف في إعطائنا هذا النموذج الفذ من الإنسان، فقد خلعت عليه المسرحية أوصافاً شتى فهو الذي يدير دفة الحكم وهو قاهر البر والبحر وهو الذي يحرث الأرض ويفلحها وهو صائد الوحوش وسيد الكلام والفكر، والمكتشف والمشرع الطبيب ولم يقف الأمر عند هذا فقد واجهت المسرحية أوديبوس بمعضلة عقلية بالغة التعقيد والصعوبة، ورأيناه وهو يحاول إخضاعها لسلطان عقله باحثاً لها عن حل، وعرفنا كيف استطاعت لغة المسرحية أن توحى لنا بشيء من المقارنة بين منهج أوديبوس وهو يبحث عن حل لمعضلته وبين مناهج العلوم والفنون التي استطاع إنسان ذلك العصر بفضلها أن يكون الحاكم المطلق لذلك العالم، ونجد أن برناردنوكس جعل من أوديبوس ذلك الإنسان الكفء الذكي المتميز عن الناس بالذكاء الخارق العارف للحساب والمعادلات وغيرها.

فالمسرحية مليئة بالأقيسة والمعادلات بعضها ناقص وبعضها زائف، غير أن المعادلة الختامية للمأساة قد أطلعتنا على حقيقة صارمة مؤداها أن الإنسان ليس مساوياً للآلهة ولكنه مساوٍ لنفسه وذاته فقط، ولقد ساوى في نهاية المأساة لا في بدايتها وذلك لأن في المأساة أوديبوسين لا أوديبوس واحداً.

الأول: هو هذه الشخصية البطولية التي ظهرت أمامنا في الفصول الأولى من مأساة الملك ذو النزوة والسلطان والملك ذو الطاقة الخارقة والعقل النافذ اللذين أوجدا موضوع البحث في الحقيقة.

والثاني: هو موضوع البحث ذاته هو تلك الشخصية التي انتهكت أقدس المقدسات وارتكبت أنكر الفواحش وهي قتل أحد الأبوين أو كليهما، ونرى أن المعادلة التي تبني عليها المأساة موجود في شكل رمزي في اسم البطل، وهذه المعادلة التي سوف يقوم أوديبوس على حلها في النهاية، كما أن اسم البطل بشقيه قد استخدم في الرواية بطرق إحصائية قصد إبراز العلاقة التي تربط بين أوديبوس الطفل وابن لايبوس المتورم القدم، وبين أوديبوس الحاكم المطلق والعارف بكل شيء وأوديبوس في كلتا الحالتين.

الحالة الأولى: التي سقط فيها من عرشه.

والحالة الثانية: التي ارتفع فيه إلى مصاف الآلهة،

يعتبر خادماً لغرض واحد، هو تقرر ذات الحقيقة التي تقول بأن امتلاك المعرفة واليقين والعدالة، هو ما يميز الإله عن الإنسان. (وهذا هو أوديبوس الذي طالما حارب ليكذب الوحي قد أصبح كلامه هو نفسه وحيا، وبدأ أنه الآن يسير في نفس المسار ويخطو نفس الخطوات التي سار عليها أبوه من قبل، ويقول بولينيس قبل خروجه :

أنها نبوءات مشؤومة ولن يحققها أو يعلنها وبهذه العبارة يردد بولينيس، ما كانت تقوله الأم لابنها أوديبوس عندما كانت تحاول أن تشنيه عن الاهتمام بنبوّة أبولون ولم يطل بعد ذلك مكوث أوديبوس فقد لبث طويلاً وهذا السلطان الذي منحه له الآلهة أخيراً لا ينبغي أن يتم به إنسان من أجل ذلك نهته الصاعقة ذات الجناحين وناداه وقصف الرعد وخطف البرق . ثم استحشته الآلهة قائلة هلم يا أوديبوس ماذا تنتظر لقد آن أن تسلك طريقنا ولقد لبث وقتاً طويلاً هذا التردد الذي تتسم به الآلهة وأوديبوس هو آخر غلالة بقية على جسده من إنسانته قد آن له الآن أن يخلعها عن جسده أما العالم الذي سيذهب إليه الآن فهو عالم المعرفة.

الحقيقة والرؤية الصافية والعمل النافذ الفاعل الذي لا يخالجه ظل من تردد أو تأخر وضمير الجماعة الذي بكلمة ماذا ننتظر الذي جاء على لسان الآلهة يتم هذه المعادلة التي تنتهي إليها القصة كلها والتي تسوى آخر الأمر بين أوديبوس والآلهة

وتجعله واحداً منها فقد امتزجت ذاته بذواتهم ثم نظر إليهم في هذه اللحظة الأخيرة من حياة أوديبوس ينادون باسمه (أوديبوس أو أوديب) الاسم الذي لا يتضمن في طياته الآلام التي عاناها في حياته فحسب وإنما يتضمن ذلك الجانب من تلك المعرفة الإنسانية التي جعلت من الإنسان سيد العالم هذه المعرفة لا ينبغي أن تجعله ينسى أبداً (قدمه) التي هي جزء من اسمه والتي تذكره دائماً بمقياس الإنسان الصادق وحقيقته الفعلية، ومن هنا نرى أن برناردنوكس المحلل لمأساة أوديبوس مناقضاً لاعتبار شخصية أوديبوس عند سوفوكلس الملعونة من طرف الآلهة والشقية جعل منه برناردنوكس الإنسان النموذج.⁴

رأي توفيق الحكيم في أسطورة أوديب:

للأستاذ توفيق الحكيم لوانان من المسرحيات "لون يجري على الطريقة المألوفة من اختيار شخصيات وأحداث ومواقف تصور جانباً من حياة المجتمع ويمكن إخراجها على خشبة المسرح. لأن المؤلف في مثل هذه الأعمال يراعي مقتضيات التمثيل. ويوفر لمسرحياته الإمكانيات الفنية التي تجعل تمثيلها أمراً ميسوراً ولون آخر يسميه المؤلف (المسرحية الذهنية).^{*} وفي المسرحيات الصالحة للتمثيل تكون الأحداث متتابعة وتسلسل هذه الأحداث وتكاملها. وغلبة الجو الأسطوري على الشخصيات هذه المسرحيات فقد أضعف الشكل الدرامي، لها وجعل شخصياتها - في نظر القارئ- شخصيات ميتة وليس أدل على ذلك من أن القارئ لهذه المسرحيات، قد يعجب بالفكرة ويتحدث عنها ولكنه لا يذكر أبطال هذه الروايات الثناء والإعجاب⁵ وهناك ملاحظة وهي أن توفيق الحكيم قد تأثر في مسرحه باتجاه عام ظهر في القرن الماضي في الآداب العالمية فيما يسمى بالدراما الحديثة** ثم يأخذ الحكيم في "معالجة النتائج التي يمكن أن تتولد عن هذه القروض لو تحققت ثم يفصل في عرض هذه النتائج وفقاً لطبيعته ونظريته إلى الحياة وما فيها، من قيم. وهذا ما سوف تعالجه بالتفصيل في ضوء معارضته لأوديب.⁶ وهي لأحد نماذجه الذهنية ولقد حاول الأستاذ توفيق الحكيم "في المقدمة التي كتبها المسرحية أن يكشف عن سر احتفائه بهذه الأسطورة، ومعنى الصراع الذي تمثل له خلالها فقال (...ليس من الممكن أن نعرض على المسرح

المادي تراجيدياً إغريقية مندثرة في غلاله من العقلية العربية فيها الصراع بين الإنسان والقوى العليا الخفية، دون أن يتجرد فيها إلى جدٍ يلحقها بالنوع الذهني من المسرحيات؟ فكان بإجابة عن هذا السؤال على دراسة سوفوكليس وانتهت إلى انتداب أوديب موضوعاً اختيارياً لماذا أوديب بالذات؟ الأمر قد يبدو عجبياً؛ وذلك أني قد تأملها طويلاً فأبصرت شيئاً صراعاً لا فقط بين الإنسان والقدر.⁷ وأن هذا الصراع لم يكن فقط بين الإنسان والزمن كما اعتاد قُرأؤها أن يروا بل من حرب أخرى خفية قل من التفت إليها. حرب بين الواقع والحقيقة على إثر ذلك كله تصدعت العقيدة الدينية. "في النفوس فما عاد أحد يؤمن بشيء غير الإنسان. ذلك هو إيمان أوروبا اليوم الذي لخصه أبرع تلخيص في قصة أويديوس. وقد إنتهى فيه إلى انتصار الإنسان في محنته على القوى الظاهرة والخفية. وهكذا يرى الفكر الأدبي المعاصر الإنسان. وحده فقط في هذا الكون وهو أمر وإن أدركه عقلي المتتابع لتطورات العقل البشري، فلا يؤمن به قلبي الشرقي اللين ولقد رأيت في قضية أوديب تحدياً من الإنسان للآلهة أو القوى الخفية ولقد ظهرت هذا التحدي على النحو الأبرز...ولكنني أبرزت في عيني عواقب هذا التناول لأنني ما شعرت قط يوماً أن الإنسان وحده في هذا الكون"⁸

فإذا انتقلنا إلى الغرض الآخر الذي تدور حوله مسرحية الحكيم هو نقل الصراع، من صراع الإنسان والآلهة إلى صراع الحقيقة والواقع، وإذا كنا نفسر كثرة المصادفات في تتابع هذه الأحداث في عمل سوفوكليس بوصفه أمراً كانت الآلهة من ورائه، منذ أن أوحى به إلى لايوس حتى قام أوديب بقتل أبيه والزواج من أمه، فإننا لا نستطيع أن نقبل تسلسل هذه الأحداث في مسرحية الحكيم بصورتها القديمة"⁹ وحين تترك أحداث المسرحية إلى شخصياتها، نلاحظ أن المؤلف قد أحدث تغييرات خطيرة في "سلوك هذه الشخصيات حتى تكون قادرة على السير بالأحداث في الطريق الذي رسمه لها منذ البداية ولعل أهم شخصية أوديب قد أصابها على يده تصدع كبير بحيث لا يدل سلوكها في مسرحيته على شيء من الذبل، على نحو ما امتازت به في مسرحية سلوفوكليس فقد ظهر الحكيم أوديب بمظهر المتآمر الذي يتفق مع ترسياس على خداع شعب طيبة."¹⁰

أما الشخصية الأخرى فهي "ترسياس الكاهن، الذي وصفه الحكيم بالضلال والجحود في مسرحيته. فنسب إليه اختراع النبوة ليتخلص من وريث أسرة لايوس وبذلك يتاح للشعب على حد قوله، أن يختار لنفسه ملكا آخر ولكن الذي حدث أن ترسياس هو الذي أختار هذا الملك وبذلك كانت إرادة الشعب التي برر بها ترسياس جريمته إرادة زائفة فلم تكن إرادة هذا الكاهن نفسه. فقد تركه الحكيم كما قلنا دون عقاب على الرغم من جريمته البشعة." ¹¹

رأي أحمد باكثير في أسطورة أوديب؛

لم يوضح على أحمد باكثير في المقدمة التي كتبها لمسرحيته، شيئا عن تلك الأسباب التي أخذت به إلى معارضة هذه المسرحية. كما فعل توفيق الحكيم غير أنه، أذاع بعد تلك أنه لم يكن يخضع لدافع معين عندما كتبها ولكنه اكتشف بعد أن تمت كتابتها "أنها تصلح لتشخيص هذه المأساة تشخيصاً دقيقاً بما صحبتها من خيانة الغريبيين، لمصالح وحقوق شعب فلسطين وتآلب القوى الاستعمارية على العرب. وهو بذلك يريد أن يتخذ من شخصيات مسرحيته، رموزاً على أحداث هذه المأساة الوطنية التي لا تزال تشغل بال الوطن العربي كله. ونستطيع أن نصل مسرعين إلى إقرار حقيقة مهمة. هي أن هدف الأستاذ باكثير في مسرحياته في الغالب هدف إسلامي هو ماهية البدع التي أخذت تشيع في بيئتنا الإسلامية منذ العصر الفاطمي. ويقوم على." ¹² رعايتها طبقة المنتفعين الذين يجمعون النذور من السذج باسم الدين، ويمكننا تلخيص النغيرات التي أدخلها الكاتب على المسرحية الأصلية "في محاولة تلخيصها من العناصر الأسطورية القديمة و من فكرة تعدد الآلهة ثم نقل الصراع من الصراع بين الإنسان والآلهة، إلى صراع بين قوى الخير ممثلة في أوديب، وقوى الشر ممثلة في الكاهن الأكبر وأخيراً محاولة إثبات حرية الإنسان فيما يفعل حتى تكون مسؤوليته إزاء ما يقع منه من أعمال مسؤوليته مكتملة." ¹³ يبدو أن (على باكثير) تأثر بمحاولة توفيق الحكيم "حين أراد إلى تخليص مسرحيته من العناصر الأسطورية القديمة فسلك فيما يظهر نفس الطريق التي سلكها الأستاذ الحكيم لكن توفيق الحكيم لم ينجح فيه نجاح على بكثير الذي لم يكتف بمجرد نسبة التدبير إلى الكاهن ونفيه عن الآلهة، وإنما تتبع تفاصيل هذه

النبؤة إلى أن وقعت فأظهرت أن الكاهن كان وراء الأحداث منذ بدايتها إلى أن وقعت بطريقة التي دبرها¹⁴

ولكن هذا النجاح الذي حققه (باكثير) لم يكن كاملاً لأن تلخيص المسرحية من عناصرها الأسطورية، لم يؤد إلى تحقيق مبدأ حرية الإنسان، فيما يفعل تلك الحرية التي رأينا الأستاذ (باكثير) يتهم بإبرازها في مسرحيته. "أما الصراع فقد نجح، باكثير في تصوير هذا الصراع لشخصيات المسرحية وتلمس بين هذه الشخصيات، أوديب بوصفها أهم الشخصيات فقد صوره الكاتب بوصفها بالنفاق والكذب. والتآمر وذلك لأنه تقبل تدبيرات الكاهن، ويخضع لأوامره دون أن تكون له حريته الخاصة في تدابير أموره بسبب حرصه على هذا المجد الذي بلغه، ولم يكن يهمه شعبه بل مصلحته في ارتقاء العرش. ولم يستفك ضميره بالجرم الذي أقره في حق أمه وأبيه وفي آخر المسرحية، يحس بأن الكاهن سيفضح أمره فيميل إلى الشعب بنية التعاطف معهم والمغفرة لهم بما ارتكب من جرم فنجد أن التغير الذي أحدثه بالشخصيات شخصية أوديب فسلبه كل النبيل الذي خلعه عليه سوفوكليس فهو (يرى) يضعه."¹⁵

وبأنه شخص اصطدمت إرادته بإرادة الآلهة، فإنه لم يستطع أن يتخلص من مصيره الذي فرض عليه، أما أوديب فكثير فشخص متآمر كاذب يقتل أباه ويتزوج أمه وهو يعي طبيعة جريمته. ولعل العمل لنيل الوحيد الذي قام به أوديب في مسرحية باكثير هو اعتزاله عرش طيبة بعد انتصاره على الكاهن الأكبر وبعد غفران شعبه له كل ما وقع فيه الأخطاء فقد أثر أن ينفي نفسه وهذا كما قلنا هو الموقف النبيل الوحيد الذي صدر عنه.¹⁶

الهوامش والإحالات:

- 1- سعيد الغانمي، الكنز والتأويل، قراءات في الحكاية العربية، ص: 19-20.
- 2- المرجع السابق، ص: 16.
- 3- المرجع نفسه، ص: 18.
- ينظر محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن، ص 104-105.

- *- المسرحيات الذهنية: يمتاز هذه المسرحيات بقلبة التفكير الذهني المجرد وخضوعه لمقتضيات فكرة ذهنية يريد. المؤلف إبرازها عن طريق الحوار. دون إعتبار لمقتضيات التمثيل وقدرات المسرح.
- **- الدراما الحديثة: التي بشر بميلادها إسين النرويحي ، أمعن في هذا الإتجاه برناردشو غير أن هناك فرقا جوهريا بين مسرح هؤلاء ومسرح توفيق الحكيم . شخصيات رواياتهم حياة إنسانية تقرب من الواقع ولا تنفصل عنه.
- 5- إبراهيم . عبد الرحمان ، الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق ، ص:285.
- 6- المصدر السابق، ص: 286.
- 7- المرجع نفسه، ص: 286.
- 8- إبراهيم عبد الرحمان، الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق، ص: 295
- 9- المرجع نفسه، ص: 295.
- 10- أنظر: المرجع السابق، ص: 297.
- إبراهيم عبد الرحمان، الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق، الشركة المصرية العالمية 11 للنشر 2000، دط ص: 298.
- 12- المرجع السابق، ص: 298.
- 13- المرجع نفسه، ص: 300.
- 14- إبراهيم عبد الرحمان، الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق، ص: 301.
- 15- المرجع نفسه، ص: 301.
- 16- المرجع نفسه، ص: 301.